



في رحاب التوراة

دراسات وجارات روحانية مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY



The Original text in English and translations to other languages can be found here:
[Covenant & Conversation](#) | [Re'eh](#) | [The Deep Power of Joy](#) | [The Rabbi Sacks Legacy](#)

"رئيه" هو النصّ الأسبوعي الرابع من كتاب "دفاريم" (أي سفر التثنية). يبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية السادسة والعشرين من المقطع الحادي عشر وينتهي بالآية السابعة عشرة من المقطع السادس عشر.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

التأثير العميق للفرح

قام المؤرّخ وكاتب اليوميات الإنجليزي المعروف صموئيل بيبس بزيارة إلى الكنيس الإسباني البرتغالي في منطقة كرينتشيرتش بمدينة لندن بتاريخ الرابع عشر من تشرين الثاني/أكتوبر عام 1663م. وبالعودة إلى تاريخ اليهود في إنجلترا فقد تم نفيهم وطردهم منها سنة 1290م، لكن بعد مبادرة توسّط بها الحاخام منسّيه بن إسرائيل من أمستردام، أصدر القائد العسكري والسياسي الإنجليزي البارز أوليفر كرومويل بياناً وضح فيه حقيقة عدم وجود أي مانع قانوني يحول دون إقامة اليهود في إنجلترا، وكان هذا عام 1656م. بالتالي صار بإمكان اليهود لأول مرة منذ القرن الثالث عشر للميلاد أن يمارسوا حرية العبادة على الملأ.

وكان هذا الكنيس الذي زاره صموئيل بيبس هو أول كنيسٍ أقيمَ هناك، فكان في بداية الأمر منزلاً تعود ملكيته لتاجر كبير من يهود البرتغال ويُدعى أنطونيو فرنانديز كارفاخال، ثم تمت توسعته لاحقاً ليستوعب المصلين القادمين للصلاة فيه. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها صموئيل بيبس هذا الكنيس، إذ زاره في المرة الأولى أثناء تأدية عدد من الأدعية والصلوات في ذكرى رحيل أنطونيو كارفاخال الذي توفي سنة 1659م، بمعنى أن زيارته للكنيس كانت في أجواء حزينة كئيبة تتناسب مع هذا الحدث الحزين. لكن ما رآه خلال زيارته الثانية لهذا الكنيس كان مُختلفاً كلياً، فكان مشهداً احتفالياً جعله يُصاب بحالة من الدهول مما رآه، وهذا ما كتبه في يومياته تعقيباً على هذا المشهد:

...وبعد العشاء توجّهتُ برفقة زوجتي إلى الكنيس اليهودي بعد أن نصّحنا السيّد رولنسون بذلك. وهناك رأينا الرجال والأولاد يرتدون أردية الصلاة ("تليتوت" باللغة العبرية)، فيما النساء يتواجدن في جهةٍ أخرى خلف حاجزٍ مُشبَّك. وكانت هناك بعض الأشياء الموضوعية في الأعلى والتي اعتقدُ بأن منها كتابهم المقدس الذي كان موضوعاً في صندوق (أرون باللغة العبرية) يقفُ الجميع أمامه وينحني. وبينما كانوا يلبسون أردية الصلاة كانوا يرددون عباراتٍ يردّ عليهم من يسمعها قائلين آمين ثم يُقبّلون رداءه الخاص بالصلاة. وكانوا يؤدّون طقوسهم بأسلوبٍ غنائي وباللغة العبرية، ثم كان أربع أو خمس رجال ينتشلون الكتاب من الصندوق ويمزرونه بين بعضهم من شخصٍ لآخر. ولم أستطع أن أحدد إذا ما كان جميع الرجال يرغبون فعلاً بحمل هذا الكتاب أم لا، لكنهم كانوا يحملونه ويطوفون به في أرجاء المكان وهم يُنشدون ويغنون.. يا إلهي! ما هذا المشهد الفوضوي الذي يملأه

الضحك والمرح والتشتت! إن حالة الخبل والفوضى هذه تجعلهم يبدون وكأنهم مجموعة من البرابرة الهمج، لا كجماعة تعبد الإله الحقيقي. ولو رأى أي شخص هذا المشهد لقال بأنه لم ير أي شيء مماثل لهذا في حياته أبداً، وبالفعل لم أر في حياتي شيئاً كهذا، ولم أتخيل حتى وجود دين أو معتقد في العالم تُمارس طقوسه الدينية بهذا القدر من السخافة.

في الحقيقة، لم يقل أحدٌ لصموئيل المسكين بأنه اختار أن يزور الكنيس أثناء مناسبة دينية يهودية تُعرف باسم "سمحات توراه" (أي فرحة التوراة)*، وهو بالفعل لم ير في حياته بيت عبادة تطفئ عليه ملامح الفرحة العارمة مثلما رأى اليهود وهم يرقصون حاملين لفائف التوراة، وكأن هذا العالم هو حفل زفاف وكتاب التوراة هو العروس التي ننسى أنفسنا ونحن نرقص معها، تماماً كما فعل الملك دافيد/داوود عندما أحضر تابوت العهد إلى أورشليم القدس.

إن الفرحة ليست الكلمة التي تخطئ ببالنا بديهيًا حين نُفكر في جدية وصرامة الديانة اليهودية كمنظومة أخلاقية، أو حينما نستذكر الصفحات المليئة بالدموع والأحزان من كتاب التاريخ اليهودي. إننا كيهود نمتلك مراتب في المآسي، وشهادات عُليا في الذنوب، ومداليات ذهبية في عالم النواح والوعول، وإن أفضل تعبير عن حال الأعياد والمناسبات في الديانة اليهودية هو ما لخصه أحد الأشخاص بثلاث عبارات فقط: "لقد حاولوا قتلنا، لكننا نجونا بأعجوبة، فهيا بنا نأكل!".

لكن هنالك فرحة عارمة ونقية تُشع من قدر كبير من أجزاء سفر المزامير، كما أن الفرحة تعتبر أحد الكلمات الرئيسية في سفر التثنية، والجدز "س.م.ح" (بمعنى فرح) مذكور مرة في سفر التكوين، ومرة في سفر الخروج، ومرة في سفر اللاويين، ومرة في سفر العدد، واثني عشر مرة في سفر التثنية، سبع منها ذكرت في هذا النص الأسبوعي من نصوص التوراة. وما أكد عليه نبي الله ورسوله موشيه/موسى مراراً وتكراراً هو أنه ينبغي علينا أن نفرح في أرض إسرائيل، فهي الأرض التي منحنا إياها الله عز وجل، وهي المكان الذي تقع فيه أحداث القصة اليهودية منذ عهد أفرهيم/إبراهيم وساره. فهذا الكون الشاسع بمجراته ونجومه التي لا تُحصى هي عمل فتي لله عز وجل، وفي ثناياها يوجد كوكب الأرض الذي يحوي في ثناياه أرض إسرائيل والمدينة المقدسة أورشليم القدس. وفي هذه البقعة بالذات يكون الله أقرب ما يكون، وحضوره مُمتد في الأثير، حيث السماء تعبر عن رُزقة السماوات العُلى، والحجارة تعبر عن ذهبية عرشه. وهي الأرض التي قال عنها موشيه: "الموضع الذي يختاره الله ربكم.. ليحل اسمه (أو نوره) فيه، والتمسوا مسكنه" تبعاً لما تذكره الآية الخامسة من المقطع الثاني عشر من سفر التثنية، فهي الأرض التي سنحتفي بها بالمحبة بين جماعة صغيرة من البشر (التي لم تكن لتحظى بأي أهمية لو لم يخترها الله)، وبين الله الذي اختارهم شعباً له ورفعهم إلى مراتب العظمة.

ومثلما أخبر موشيه بني إسرائيل، فإن الرواية المُعقدة للتاريخ اليهودي بأكملها ستكون جليّة واضحة فوق هذه الأرض، مثلما نُخبرنا الآية الثانية عشرة من المقطع الثاني عشر من سفر التثنية: "أنتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم واماؤكم واللاوي الذي في محالكم إذ ليس له نصيب ونحلة معكم"، بمعنى آخر: سيفرح الشعب بأكمله، فينشدون سواً ويعبدون الله عز وجل سواً، ويحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية سواً، مُدركين بأن التاريخ لا يتمركز حول الإمبراطوريات والغزو مثلما لا تتمركز المجتمعات حول التراتبية والنفوذ والسلطة، وبأن الحاكم والمحكوم والعبري (ويُشار إليهم كذلك بعبارة "إسرائيل"، راجع الملاحظة الهامشية)** والكاهن جميعهم سواسية في نظر الله عز وجل. وبأنهم جميعاً أصوات تُنشد في جوقة الدينية، وجميعهم يرقصون في دوائر مركزها الضياء الإلهي المُنير. وهذا هو تحديد الأساس الذي يقوم عليه العهد مع الله: تغيير ظروف البشر من خلال ما أطلق عليه الشاعر الإنجليزي وليام ووردزورث "التأثير العميق للفرح"¹.

وعلى حد تعبير أرسطو فإن السعادة (*eudaemonia* باللغة اليونانية) هي الغاية المطلقة للوجود الإنساني. فنحن نرغب في الكثير من الأمور، لكننا نرغبها كوسيلة لتحقيق أمرٍ آخر في العادة.

*ملاحظة توضيحية من المترجم: سمحات توراه أو فرحة التوراة هي مناسبة دينية يهودية تحل في اليوم التالي لآخر يوم من عيد العرش أو عيد المظلات، وتحل في اليوم الذي يُتيم فيه اليهود قراءة التوراة كاملة فيفرحون لذلك، ومن هنا جاءت التسمية.

** ملاحظة توضيحية من المترجم: ينقسم الشعب اليهودي إلى سبط الكهنة المنحدرين من نسل أهارون الكاهن، واللاويين المنحدرين من نسل اللاوي الذين كانوا يساعدون الكهنة في عبادة الله بالهيكل، أما الباقي من الشعب فكان يُشار إليهم بعبارة "إسرائيل"، أي العامة من الناس الذين لا ينتمون لا للكهنة ولا للآويين. يظل هذا التقسيم مهماً في الطقوس الدينية بالكنيس إلى هذه اللحظة.

في حين يوجد أمرٌ واحدٌ يُعتبرُ الغاية بحد ذاتها: إنه السعادة.² وهنالك عاطفةٌ مماثلة في الديانة اليهودية، فالكلمة المُستخدمة في التناخ لوصف السعادة "أشري" (أي طوبى) هي أول كلمة في سفر المزامير، وهي كلمة رئيسية في صلواتنا اليهودية، لكن بمعزل عن هذه السياقات نجد أن التناخ* يتحدث عن الـ "سمحاه" (أي الفرح).

والفرح والسعادة هُما أمران مُختلفان عن بعضهما البعض، فالسعادة شعورٌ بمقدورك أن تشعر به لوحده، لكن الفرح - في التناخ - هو شعورٌ تتشاركه مع الآخرين. فعلى سبيل المثال، يذكر سفر المزامير في الآية الخامسة من المقطع الرابع والعشرين كيف ينبغي على الزوج في السنة الأولى من الزواج أن "يكون فارغاً لبيته سنة واحدة، ويُفرخ زوجته التي اتخذها". وبحسب ما تذكر الآية الحادية عشرة من المقطع السادس والعشرين فإن إحصار باكورة الفواكه إلى الهيكل يؤدي إلى التالي: "افرح بكل الخير الذي رزقك الله ربك، أنت وألئك واللاوي والغريب الذي في محالك". وفي أحد أكثر الآيات استثنائية في التوراة يُبين لنا موشيه كيف أن النقم واللعنات ستحل، لكن هذا لن يكون بسبب عبادة الأوثان أو بسبب التخلي عن عبادة الله، بل لهذا السبب: "ما لم تعبد الله ربك بفرح وجودة قلب" بحسب ما تذكر الآية السابعة والأربعون من المقطع الثامن والعشرين من سفر التثنية. بالتالي فإن فشلنا في الوصول إلى حالة من الفرح هو العلامة الأولى على وجود حالة من الصدع والانحدار.

كما توجد فروقٌ أخرى بين السعادة والفرح، فالسعادة تدور حول فترةٍ طويلة في الحياة، في حين يرتبط الفرح باللحظة الحالية. كما أن السعادة تبدو كعاطفة باردة هادئة، في حين أن الفرح يجعلك ترغب في الرقص والغناء. ويصعب على المرء أن يكون سعيداً وسط حالة من الشك واللايقين، في حين بمقدوره أن يكون فرحاً في خضم ذلك. وفي هذا السياق أستذكر الملك دافيد/داوود الذي تحدّث في سفر المزامير عن الخطر والخوف والكآبة بل وفي بعض الأحيان حالة الإحباط، لكن أناشيده كانت تنتهي عادة بنمط إيجابي ومتفائل مثلما نجد في الآيات 6-13 من المقطع الثلاثين:

"لأن غضبه للحظة، وحياته في رضاه
عند المساء يبني البكاء، وفي الصباح تترنم..
حوّلت نواحي إلى رقص حللت مسحي وكسوتني فرحاً
لكي تترنم لك روجي ولا تسكت، يا رب يا إلهي، إلى الأبد أحمّدك".

بالتالي فإن الفرح يُمثل عاطفة يهودية مُطلقة، ففيها نجد أنفسنا في عالم يملؤه الجمال، وكل نفس نتنفسه هو روح الله الكامنة بداخلنا، وتُحيط بنا محبته التي تُحرك الشمس والنجوم. إننا موجودون هنا لأن الله أراد لنا أن نكون هنا، والروح التي تحتي بالأشياء هي التي تُشدو وتغني فرحاً.

في الوقت نفسه فإن الحياة مليئة بالأتراح والمسؤوليات والمشاكل والآلام، لكن أسفل هذا كله يوجد ما هو مُعجزٌ في وجودنا هنا في هذا الكون المليء بالجمال، وبين البشر الذين يحملون بين ثناياهم شيئاً من "صورة الله عز وجل". وفي هذا السياق يقول الشاعر والروائي الأُسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون: "ابحث عن المكان الذي تقيم به فرحتك، وامنعها صوتاً بعيداً أبعد من حدود الغناء. فحين تفقد الفرحة فإنك ستفقد كل شيء"³.

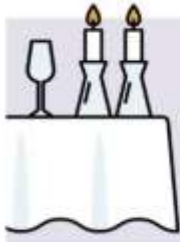
وفي الديانة اليهودية فإن الإيمان ليس عدواً للعلم أو لأي محاولة لتفسير هذا الكون، بل هي حالة من الدهول والتعجب التي ولدت في رحم الشعور بالشكر والعرفان. إنها تتعلق بالتشبث بالحياة حتى نصنع بركة منها، وكأن الله عز وجل يخاطبنا قائلاً: لقد صنعتُ هذا جميعه من أجلكم، وهذه هبتي لكم، فاستمتعوا بها وساعدوا الآخرين على الاستمتاع بها أيضاً، وساعدوا في شفاء آلام الغير بقدر ما استطعتم، تلك الآلام التي قد يُسببها الناس لبعضهم البعض أو تلك التي هي نتاج

*ملاحظة توضيحية من المترجم: التناخ هي كلمة تختصر الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نفيثيم، كتوفيم" (أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سفر يوشع، وسفر القضاة وسفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني وسفر إشعيا وسفر إرميا وسفر حزقيال، وسفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفار الكتابات، والتي تضم الهاغويوغرافيا، أي كُتب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضم أحد عشر كتاباً، وهي سفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر أيوب، وسفر روث (راعوث)، وسفر نشيد الإنشاد، وسفر الجامعة، وسفر مرثي إرميا، وسفر أستير، وسفر دانيال، وسفر عزرا ونحميا، والجزء الأخير من التناخ يضم أسفار تدوين التاريخ. بالتالي يضم التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سفرًا (كتاباً).

لآلاف الأسباب والعلل الطبيعية التي يتعرضون لها، ذلك لأن الألم والحزن والخوف والغضب والغيرة والحقد جميعها مشاعر تُعمي العيون وتفصل بين الإنسان وبقية البشر، وبين الإنسان وبيني (أي الله عز وجل). وهنا يوضح الفيلسوف الدنماركي سورين كيركغور في كتاباته قائلاً: "يتطلب الحزن من الإنسان أن يتحلى بالجرأة الأخلاقية، لكن الفرح يتطلب منه أن يتحلى بالجرأة الدينية"⁴، وهذه فكرة أو من بها أنا شخصياً من أعماق قلبي، لهذا فإني أتأثر جداً حين أرى اليهود وهم ينظرون للفرح على أنه قيمة دينية عليا بالرغم من معرفتهم حق المعرفة معنى أن يسير المرء في وادي ظل الموت (هذا الوصف المذكور في المقطع الثالث والعشرين من سفر المزامير).

إننا نبدأ يومنا كل صباح بقائمة من الأدعية التي تعبر عن الشكر والعرفان لله عز وجل بأننا موجودون هنا في هذا العالم، وبأن لدينا عائلة وأصحاب يحبوننا ونحبهم، وبأننا على وشك أن نبدأ يوماً مليئاً بالإمكانيات والاحتمالات، وعبر سلوكياتنا التي تعبر عن محبتنا وإحساننا فإننا نسمح للحضور الإلهي بالعبور من خلالنا إلى حياة الآخرين. بالتالي فإن الفرح يُساعدنا كثيراً على شفاء المجروحين والمهمومين في هذا العالم.

1. William Wordsworth, "Lines Composed a Few Miles above Tintern Abbey, on Revisiting the Banks of the Wye during a Tour, July 13, 1798."
2. Aristotle, *Nicomachean Ethics*, 1097a 30–34.
3. Robert Louis Stevenson, "The Lantern-Bearers," in *The Lantern-Bearers and Other Essays* (New York: Cooper Square Press, 1999).
4. Søren Kierkegaard, *Journals and Papers*, 2179.



حَوْلَ مَائِدَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ: أَسْئَلَةٌ لِلتَّأْمُلِ

- 1- ما هو الفرق بين السعادة والفرح؟
- 2- باعتقادك هل البشر تواقون أكثر للوصول إلى حالة من الفرح أم إلى حالة من السعادة؟
- 3- كيف بإمكانك أن تصل لحالة من الفرح في حياتك؟

• These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/reeh/the-deep-power-of-joy/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

